الفصل الثاني

الاتصـــــال

الإنسان مخلوق اجتماعي بالطبع ، ولذلك لا بد له من أن يتصل بمن حوله ليتبادل معهم أفكاره وآراءه ، ويتفاعل معهم ، ويتفاعلون معه .

والكلام المنطوق هو الوسيلة التي تخطر على الذهن عندما نفكر في الاتصال .. ولكن الاتصال بين الناس يتم بوسائل عدة ، مثل : الكلام المنطوق ، والكتابة ، وإشارات وحركات الجسم إلخ . بل إن الفنون كلها ما هي إلا وسائل للاتصال . فيقوم الفنان عن طريق صورته أو لوحته أو موهبته إلخ .. بنقل أفكاره وآرائه وأحاسيسه إلى المشاهدين لفنه أو المستمعين له .

وقد فطن أبو عثمان الجاحظ إلى وسائل الاتصال المختلفة في كتابه "**البيان والتبيين**" فقال : وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد :

أولها – اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد[1] ، ثم الخط ثم الحال ، وتسمى "نِصْبةً" [2].

وبعد أن شرح اللفظ أو الكلام المنطوق قال : "قد قلنا في الدلالة باللفظ ؛ أما الإشارة فباليد ، وبالرأس ، وبالعين ، والحاجب ، والمنكب ؛ إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب والسيف ، وقد يتهدد رافع السوط والسيف ، فيكون ذلك زاجرًا ومانعًا رادعًا ، ويكون وعيدًا وتحذيرًا .

والإشارة واللفظ شريكان ، ونِعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغني عن الخط .

---

(١) العقد : قبض اليد ، أو نشر الأصابع للدلالة على الحساب المراد .

(٢) النصبة هي : الهيئة أو الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد ، مثل : مَنْ قال: "سل الأرض فقل : من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارًا، أجابتك اعتبارًا" . أو كما قال خطيب حين قام على سرير الإسكندر وهو ميت : "الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس" .

وبعد ، فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها ؛ وفي الإشارة بالطرف والحاجب ، وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة يسترها بعض الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس ، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، ولجهلوا هذا الباب ألبتة. ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قال : مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال الآخر :

وللقلب على القلـ ... ـب دليل حين يلقاه
وفي الناس من النا ... س مقاييس وأشباه
وفي العين غنى للمر ... ء أن تنطق أفواه[1]

وبينما يفهم الناس الكلام المنطوق (اللفظ) ، والكلام المكتوب (الخط) أو هكذا المفروض! ، نجد أن بعضهم لا يفهم ما يكتب بين السطور أو المعاني المضمنة في الكلام المنطوق . وتقوم الإشارات والإيماءات بتكملة معنى الكلام المنطوق أو تنفي معناه ، أو قد يتكلم الفرد بالإشارة فقط . فهزة رأس قد تعني الموافقة في ثقافة معينة ، وهزة أخرى قد تعني الرفض .. إلخ .

وبعض هذه الإشارات إرادية يفعلها الفرد لنقل مفهوم معين ، وكثير منها لا إرادي يفعله الشخص دون قصد أو أوتوماتيكيا . وهذه هي الإشارات والإيماءات التي سوف نركز عليها في هذا الكتاب ، لأنها ترجمة أمينة لما يدور في ذهن القائم بهذه الإشارة ، وبينما يستطيع الفرد الكذب بلسانه مثلا ، فإن إشاراته اللاإرادية في مجموعها أو ما نسميه بالكتلة الإشارية سوف تفضحه . **وهذا هو الفرق بين : علم الفراسة قديما الذي كان يعتمد على شكل الجسم وعلم الفراسة الحديث الذي يعتمد على الاستقراء التام لإشارات الجسم اللاإرادية .**

---

(١) انظر البيان والتبيين ، باب البيان (٧٩/١) ط الهلال بيروت .